الوارث

العدد ١٢

شعبان ١٤٣٠ هـ
آب ٢٠٠٩م

نشرة شهرية تصدر عن شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة

قال الشيخ الطوسي في المصباح، ومما يدعى في يوم مولد الإمام الحسين عليه السلام:

اللهم وهب لنا في هذا اليوم خير موهبة وأنجح لنا فيه كل طلبة كما وهبت الحسين لمحمد جده وعاذ فطرس بمهده فنحن عائذون بقبره من بعده نشهد تربته وننتظر أوبته آمين رب العالمين

اللهم ارزقني شفاعة الحسين عليه السلام يوم الورود

صفحات الوارث

٣ الوليد المبارك

٤ قطوف دانية من السيرة الحسينية / أقوال الإمام الحسين عليه السلام في توحيد الله ومعرفته ـ ٢

٦ في رحاب علوم القرآن / التفسير والمفسرون عند السنة وغيرهم

٩ معاجز أهل البيت عليهم السلام وكراماتهم/ الشجرة المباركة

١٠ على ضفاف نهج البلاغة / المبادئ التربوية في نهج البلاغة ـ القسم الأول

١٢ أخلاقك هويتك / حسن الظن بالله تعالى

١٤ مباحث عقائدية / سلسلة مباحث التوحيد: مبحث الصفات الإلهية
القسم الثاني: الصفات الثبوتية الجمالية / الحلقة الثانية

١٦ عبرٌ من التاريخ / خسرو الملك مع رجل أتى إليه بسمكة ـ حكاية بهلول مع أبي حنيفة

١٧ محطات ثقافية / المعنى اللغوي لـ(مصطلح)

١٨ أعلام الشيعة / والدة الإمام المهدي (عج) السيدة النرجس عليها السلام

٢٠ شؤون أسرية / الحوار وتوليد الأفكار / الحلقة الثانية: المنهج التربوي لتشجيع الأطفال على الحوار

٢٢ معارف عامة / الثقوب السوداء

٢٣ أوصاف الإمام المهدي (عج) وعلائمه

بسم الله الرحمن الرحيم

إعداد
السيد نبيل الحسني
الشيخ وسام البلداوي

التدقيق اللغوي
خالد جواد جاسم

التنضيد الإلكتروني
محمد رزاق صالح
كرار عبدالأمير السلامي

تصميم الغلاف
السيد علي ماميثة

التصميم والإخراج الفني
أحمد محسن المؤذن

تنفيذ
مطبعة الرائد

الوارث

إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق
ـ وزارة الثقافة لسنة ٢٠٠٩: ١٢١١

هاتف: ٣٢٦٤٩٩
بدالة: ٣٢١٧٧٦ ـ داخلي: ٢٤٢
موقع العتبة www.imamhussain.org
موقع القسم www.imamhussain-lib.org
بريد القسم Email:info@imamhussain-lib.org

الوليد المبارك

وضعت سيّدة نساء العالمين وليدها العظيم الإمام الحسين (عليه السلام) الذي لم تضع مثله سيّدة من بنات حوّاء ـ لا في عصر النبوّة ولا فيما بعده ـ أعظم بركة ولا أكثر عائدة على الإنسانية منه، فلم يكن أطيب ولا أزكى ولا أنور منه.

لقد أشرقت الدنيا به، وسعدت به الإنسانيّة في جميع أجيالها، واعتزّ به المسلمون، وعمدوا إلى إحياء هذه الذكرى افتخاراً بها في كلّ عام، فتقيم وزارة الأوقاف في مصر سنوياً احتفالاً رسمياً داخل المسجد الحسيني اعتزازاً بهذه الذكرى العظيمة، كما تقام في أكثر مناطق العالم الإسلامي.

وتردّد في آفاق يثرب صدى هذا النبأ المفرح، فهرعت أمّهات المؤمنين وسائر السيدات من نساء المسلمين إلى دار سيدة النساء، وهنّ يهنئنها بمولودها الجديد، ويشاركنها في أفراحها ومسراتها.

وجوم النبّي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبكاؤه

ولمّا بُشّر الرسول الأعظم بسبطه المبارك خفَّ مسرعاً إلى بيت بضعته فاطمة (عليها السلام)، وهو مثقل الخُطا قد ساد عليه الوجوم والحزن، فنادى بصوت خافت حزين النبرات: «يا أَسْماءُ هَلُمِّي إِبني».

فناولته أسماء الوليد المبارك؛ فاحتضنه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وجعل يوسعه تقبيلاً، وقد انفجر بالبكاء فذهلت أسماء، وانبرت تقول: فداك أبي وأمّي، ممّ بكاؤك؟!

فأجابها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد غمرت عيناه بالدموع: «مِن إِبْني هذا».

وملكتها الحيرة فلم تدرك معنى هذه الظاهرة ومغزاها، فانطلقت تقول: إنّه وُلِدَ الساعة.

فأجابها الرسول بصوت متقطّع النبرات حزناً وأسى قائلاً: تَقْتُلُهُ الفِئَةُ الباغِية مِنْ بَعْدِي، لا أَنالَهُم اللهُ شَفاعَتِي.

ثم نهض وهو مثقل بالهمّ وأسرَّ إلى أسماء قائلاً: لاَ تُخْبِرِي فاطِمَةَ فإنّها حدِيْثَةُ عَهْدٍ بِوِلادَة...»[1].

وانصرف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو غارق بالأسى والشجون، فقد استشفّ من وراء الغيب ما سيجري على ولده من النكبات والخطوب التي تذهل كلّ كائن حي.

سنة ولادته (عليه السلام)

واستقبل سبط النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دنيا الوجود في السنة الرابعة من الهجرة[2]. وقيل في السنة الثالثة[3].

واختلف الرواة في الشهر الذي ولد فيه فذهب الأكثر إلى أنّه ولد في شعبان، وأنه في اليوم الخامس منه[4].

لم يحدد بعضهم اليوم، وإنما قال: ولد لليالٍ خلون من شعبان[5]. وأهمل بعض المؤرخين ذلك مكتفياً بالقول: إنه ولد في شعبان[6]. وذهب بعض الأعلام إلى أنّه ولد في آخر ربيع الأول[7]. إلا أنه خلاف المشهور فلا يعنى به[8].

---

١. مسند الإمام زيد: ٤٦٨.

٢. الإرشاد / المفيد: ج٢، ص٢٧. مقاتل الطالبيين: ٨٤. تاريخ مدينة دمشق: ١٤ ـ ١١٥.

٣. الكافي: ١: ٣٥٠. الخطط المقريزيّة: ٢: ٢٨٥. الاستيعاب: ١: ٣٩٢.

٤. المعجم الكبير: ٣: ١١٧، الرقم٢٨٥٢. الخطط المقريزيّة: ٢ ـ ١٨٥.

٥. إمتاع الأسماع: ١٨٧. أسد الغابة: ١: ٤٩٦. الذرية الطاهرة: ٦٩.

٦. فتح الباري: ٧: ٧٤.

٧. المقنعة: ٤٦٧: تهذيب الأحكام: ٦: ٣٨.

٨. حياة الإمام الحسين بن علي (عليه السلام): باقر شريف القرشي ج١، ص٣١ ـ ٣٣.

أقوال الإمام الحسين عليه السلام في توحيد الله ومعرفته

الحلقة الثانية

عرض الأعمال

عن الإمام علي بن موسى الرضا (عليهما السلام) قال: حدثني أبي موسى بن جعفر قال: حدثني أبي جعفر بن محمد قال: حدثني أبي محمد ابن علي قال: حدثني أبي علي بن الحسين قال حدثني أبي، الحسين بن علي (عليهم السلام) قال: إن أعمال هذه الأمة ما من صباح إلا وتعرض على الله تعالى.[١]

وفي رواية قال الحسين بن علي (عليهما السلام): «ما مِنْ أعمال هذه الأمّة مِنْ صَبَاحٍ الاّ ويُعْرَضْ عَلَى اللهِ عزَّ وَجَلَّ».[٢]

التكليف بما لا يطاق

وقال: (عليه السلام)، «ما أخذ الله طاقة أحد إلا وضع عنه طاعته، ولا أخذ قدرته إلا وضع عنه كلفته».[٣]

نصرة الملائكة للأئمة (عليهم السلام)

روى المجلسي نقلا عن التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري (عليه السلام)، قال الحسين ابن علي بن أبي طالب (عليهم السلام): إن الله تعالى ذم اليهود في بغضهم لجبرئيل الذي كان ينفذ قضاء الله فيهم بما يكرهون، وذمهم أيضا، وذم النواصب في بغضهم لجبرئيل وميكائيل وملائكة الله النازلين لتأييد علي بن أبي طالب (عليه السلام) على الكافرين حتى أذلهم بسيفه الصارم، فقال: (قل من كان عدوا لجبريل)[٤] من اليهود، لِرَفْعِهِ من بخت نصر أن يقتله دانيال من غير ذنب كان جناه بخت نصر، حتى بلغ كتاب الله في اليهود أجله، وحل بهم ما جرى في سابق علمه، ومن كان أيضا عدوا لجبرئيل من سائر الكافرين ومن أعداء محمد وعلي الناصبين؛ لان الله تعالى بعث جبرئيل لعلي (عليه السلام) مؤيدا وله على أعدائه ناصرا، ومن كان عدوا لجبرئيل لمظاهرته محمدا وعليا (عليهما الصلاة والسلام)، ومعاونته لهما وإنفاذه لقضاء ربه عز وجل في إهلاك أعدائه على يد من يشاء من عباده، (فإنه) يعني جبرئيل (نزّله) يعني نزّل هذا القرآن (على قلبك) يا محمد (بإذن الله) بأمر الله، وهو كقوله: (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين)، (مصدقا لما بين يديه) نزّل هذا القرآن جبرئيل على قلبك يا محمد! مصدقا موافقا لما بين يديه من التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وكتب شيث وغيرهم من الانبياء.

ثم قال: (من كان عدوا لله) لإنعامه على محمد وعلي وآلهما الطيبين، وهؤلاء الذين بلغ

من جهلهم أن قالوا: نحن نبغض الله الذي أكرم محمدا وعليا بما يدعيان وجبرئيل، ومن كان عدوا لجبريل لانه جعله ظهيرا لمحمد وعلي (عليهما الصلاة والسلام) على أعداء الله وظهيرا لسائر الأنبياء والمرسلين كذلك (وملائكته) يعني ومن كان عدوا لملائكة الله المبعوثين لنصرة دين الله وتأييد أولياء الله، وذلك قول بعض النصاب والمعاندين: برئت من جبرئيل الناصر لعلي (عليه السلام) وهو قوله: (ورسله) ومن كان عدوا لرسل الله موسى وعيسى وسائر الأنبياء الذين دعوا إلى نبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وإمامة علي (عليه السلام).

ثم قال: (وجبريل وميكال) ومن كان عدوا لجبرئيل وميكائيل وذلك كقول من قال من النواصب لما قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في علي (عليه السلام): جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، وإسرافيل من خلفه، وملك الموت أمامه، والله تعالى من فوق عرشه ناظر بالرضوان إليه ناصره. قال بعض النواصب: فأنا أبرأ من الله ومن جبرئيل وميكائيل والملائكة الذين حالهم مع علي (عليه السلام) ما قاله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)! فقال: من كان عدوا لهؤلاء تعصبا على علي بن أبي طالب (عليه السلام)، (فإن الله عدو للكافرين)، فاعل بهم ما يفعل العدو بالعدو من إحلال النقمات وتشديد العقوبات. وكان سبب نزول هاتين الآيتين ما كان من اليهود أعداء الله من قول سيئ في جبرئيل وميكائيل، وماكان من أعداء الله النصاب من قول أسوأ منه في الله وفي جبرئيل وميكائيل وسائر ملائكة الله. وأما ما كان من النصاب فهو أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما كان لا يزال يقول في علي (عليه السلام) الفضائل التي خصه الله عز وجل بها والشرف الذي أهله الله تعالى له، وكان في كل ذلك يقول: أخبرني به جبرئيل عن الله. ويقول في بعض ذلك، جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، يفتخر جبرئيل على ميكائيل في أنه عن يمين علي (عليه السلام) الذي هو أفضل من اليسار، كما يفتخر نديم ملك عظيم في الدنيا يجلسه الملك عن يمينه على النديم الآخر الذي يجلسه على يساره، ويفتخران على إسرافيل الذي خلفه في الخدمة، وملك الموت الذي أمامه بالخدمة، وأن اليمين والشمال أشرف من ذلك، كافتخار حاشية الملك على زيادة قرب محلهم من ملكهم. وكان يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في بعض أحاديثه: إن الملائكة أشرفها عند الله أشدها لعلي بن أبي طالب حبا، وإن قسم الملائكة فيما بينها: والذي شرف عليا على جميع الورى بعد محمد المصطفى، ويقول مرة أخرى: إن ملائكة السماوات والحجب ليشتاقون إلى رؤية علي بن أبي طالب، كما تشتاق الوالدة الشفيقة إلى ولدها البار الشفيق آخر من بقي عليها بعد عشرة دفنتهم(٥).

١ . عيون أَخبار الرضا: ج٢ ، ص٤٨، حديث ١٥٦، بحار الأنوار ٧٣: ٣٥٣ حديث٥٤.

٢. بحار الأنوار ٩٣: ٣٤٧حديث١٤.

٣. تحف العقول: ١٧٥، بحار الانوار: ج٧٨، ص١١٧، حديث٤.

٤. البقرة: ٩٨.

٥. موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام): معهد تحقيقات باقر العلوم (عليه السلام)، ص ٥٤٢ ـ ٥٤٥.

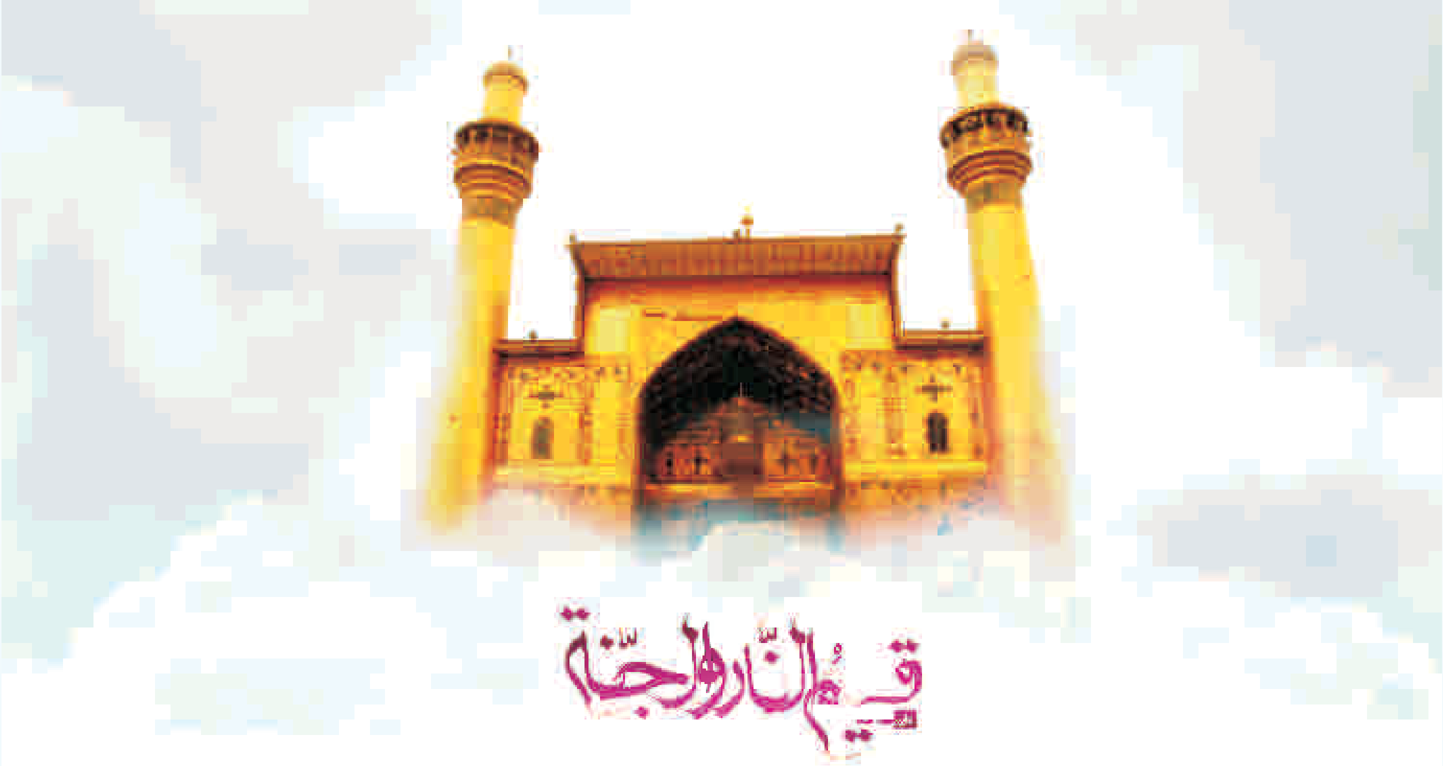

التفسير والمفسرون عند السنة وغيرهم

أ ـ السلف: وهم التابعون، ومن جاء بعدهم من العلماء، وقد أكثروا الرواية عن الخلفاء الثلاثة كما أنهم أخذوا برواية من شايع علياً (عليه السلام) كسلمان وأبي ذر وعبد الله بن عباس وابن مسعود، ثم أكثروا الرواية عن زيد بن ثابت وأبي موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير، ومع كل ذلك فقد اعترفوا بأن أكثر الصحابة علماً ورواية بكتاب الله العزيز هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام). قال السيوطي: أما الخلفاء فأكثر من روي عنه: منهم علي بن أبي طالب (عليه السلام) والرواية عن الثلاثة نزرة جداً[١].

وقد اعتمد أهل السنّة على تفسير ابن عباس حيث هو أكثر رواية من بقية الصحابة ولكن مع كثرة رواياته فقد شكّك البعض في مروياته من حيث الدس والوضع، قال الشافعي: لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلاّ شبيه بمئة حديث[١] ثم أخذ أهل السنة من بقية الصحابة حيث اعتمدوا على مروياتهم جري المسلّمات أمثال أبي هريرة وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر وعمر وعائشة ثم كانت هنالك بيئات متعددة مثل مكة والمدينة والكوفة فأشهر علماء التابعين في مكة:

مجاهد وعطاء بن أبي رياح وعكرمة مولى ابن عباس وسعيد بن جبير وطاووس اليماني وأضرابهم وهؤلاء أصحاب ابن عباس أخذوا منه.

وفي الكوفة: من تابع عبد الله بن مسعود وروى عنه...

وفي المدينة: مالك بن أنس وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

ب ـ المتأخرون:

ولمّا اتسعت رقعة الأرض الإسلامية وانتشر المسلمون في الأمصار والبلدان نتيجة للتبليغ المتواصل، ثم كثرة المعتنقين للإسلام، وحاجتهم إلى معرفة القرآن حفّز علماء المسلمين أن يهتموا بمفاهيم القرآن وتفسيره وتأويله، حتى أنّهم اضطروا إلى رواية التفسير الذي صدر من الصحابة والتابعين، وإن كان مقتضباً، فكان تابعو التابعين يروون عن السلف كل ما وصل إليهم رواية أو كتابةً، فجمعوا ما تيسّر لهم، وصنّفوا تفاسيرهم اعتماداً على تلك الروايات، لكن مما يؤسف له أن جلّها ضاع بل أتلفتها أيدي الحدثان وتوالي الزمان، وأشهر أولئك الذين تصدّوا لجمع تلك المرويات في التفسير هم: سفيان بن عيينة، وكيع بن الجراح، شعبة بن الحجاج، يزيد بن هارون عبد بن حميد، ثم المتأخرون عنهم وعلى رأسهم ابن جرير الطبري حيث يعد بحق أول مصنّف للتفسير والذي وصل إلينا تفسيره متكاملاً، ليس فيه نقص أو تحريف، ولا نبالغ إذا قلنا: كل من جاء بعده كان عيالاً عليه.

كيف ما كان فإن تفاسير أهل السنة اعتمدت على تصانيف علمائهم الأوائل نذكر منهم تفسير مالك بن أنس وعكرمة والسدي الصغير، ونهشل، والحسن البصري ومحمد بن السائب الكلبي وبكر بن الأصم ومقاتل بن سليمان وابن أبي نعيم الفضل بن وكيع، وتفسير الآي الذي نزل في أقوام بأعيانهم لهشام الكلبي وتفسير محمد بن عبد الوهاب الجبائي، وتفسير يوسف القطان، وأبي بكر بن أبي شيبة، والحسن بن واقد، على أن الكثير منهم قد اعتمد تفسير ابن عباس.

مدارس التفسير

أولاً: مذاهب المفسرين

١ـ المحدّثون: اعتمدوا في تفسيرهم للقرآن الكريم الرواية عن السلف واهتموا بالمأثور ووقفوا عمّا سواه. أمّا روايتهم عن السلف نخص بالذكر منهم المفسّرين الأوائل نذكر على سبيل المثال: أمير المؤمنين (عليه السلام)، وابن عباس وأُبي بن كعب وابن مسعود، وعبد الله بن الزبير، ومن التابعين مجاهداً وقتادة وابن ليلى والشعبي والسدي، فضلاً عمّا تقدّم في الصفحات السابقة.

٢ـ المتكلّمون: الذين خلطوا التفسير بمباحث كلامية وآراء قوامها البحث والمناظرة. منهم: المعتزلة، ومن أبرز كتبهم (الكشاف للزمخشري) اعتمدوا في تفسيرهم الأخذ بما يوافق مذهبهم كما أنهم جنحوا في الاستدلال إلى التأويل بما يسمح لهم المذهب.

٣ـ الفلاسفة: تلافياً لما أحدثه المتكلمون ـ المفسرون ـ من تورُّطهم في تأويل الآيات التي تخالف في ظاهرها مسلمات الفلاسفة بالمعنى الأعم، حيث إنهم تأوّلوا الآيات الواردة في حقائق ما وراء الطبيعة وآيات الخلق وحدوث السماوات والأرض والبرزخ والمعاد، حتى إنهم خرجوا عن الفرضيات والأصول الموضوعة التي نجدها في العالم الطبيعي.

٤ـ المتصوفة: اقتصر هذا الفريق على التأويل لأنهم اشتغلوا بالسير في باطن الخلق واعتنائهم بشأن الآيات الأنفسية دون علم الظاهر. كما رفضوا التنزيل واستشهدوا بالشعر. واشتغلوا في تفسير الآيات بحساب الجمل والأعداد والحروف متّخذين من علم الجفر والرمل والزيجات تفسيراً لبعض الظواهر الطبيعية التي تحدث أو تحسّباً لما سيحدث في المستقبل.

٥ـ المتأخّرون: وهم أتباع الطريقة الحسيّة أو التجربة، وهم الذين مالوا إلى مذهب الحسّيّين من فلاسفة أوروبا الذين بنوا فرضياتهم وطبّقوها على أساس الحسّ والتجربة والإحصاء وكان ذلك إثر توغّلهم في العلوم الطبيعيّة حيث أكّدوا على مبدأ رفعوه وشعار اتّخذوه لهم وهو أن لا أصالة في الوجود إلاّ للمادة وخواصها المحسوسة، فما أخبره الدين في أمور كالكرسي والعرْش والقلم واللوح ـ يجب تأويله ـ وما يتّصل بالوحي والشيطان والنبوّة والرسالة والإمامة، هي أمور روحية وما زالوا يعرضون عن الروايات لأنهم ادّعوا فيها الخليط، ففيها الصحيح والزائف. فهي لا تصلح، ولا يمكن الاعتماد عليها.

٦ـ التفسير الإرشادي[٣]: وهو الذي تؤول به الآيات على غير ظاهرها مثل تفسير الآلوسي (روح المعاني). هذه أهم المدارس عند المفسّرين إلاّ أنّك تجد مع هذه النزعة العقائدية عند المفسّرين، سواء أكان قديماً أم حديثاً، تجد أيضاً الأساليب عندهم مختلفة في انتزاع الدليل من الآية الكريمة لنصرة هذا المذهب أو ذاك.

ثانياً: الأساليب المتّبعة في التفسير

يمكن تصنيف تلك الأساليب إلى ما يلي:

١ـ إتباع الأسلوب الأدبي والتصوير الفني والاهتمام بالجانب اللفظي لفك العبارة وتفسير مفردات الآية الكريمة وإعراب القرآن، وذلك أمثال البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي. ٧٤٥هـ.

٢ـ إتباع الأسلوب الأدبي من حيث الاهتمام بالجانب البلاغيّ للآية الكريمة كتفسير الزمخشري.

٣ـ الاهتمام بالحديث الشريف وتفسير النص القرآني بالمأثور عن المعصومين (عليهم السلام) أو بالمأثور عن الصحابة والتابعين. كتفسير العياشي والقمي ومجمع البيان للطبرسي.

٤ـ اتخاذ العقل أداة فاعلة لتوضيح النص القرآني وفهم كتاب الله سبحانه من خلال الترجيحات العقلية أو ما يفهمه العقل، أمثال تفسير الرازي.

٥ـ الاهتمام بالمعنى من خلال التبادر العرفي لفهم معاني المفردات.

٦ـ وهناك أسلوب آخر قد يعتمده المفسّر في تفسيره للآيات وهو أن يجعل القرآن منقاداً لأسس مذهبية مسبقة، وهذا ما نسمّيه بالتفسير المتحيّز وما عداه غير المتحيّز الذي يحاول أن يستنطق القرآن الكريم ويطبق الرأي على القرآن.

٧ـ تفسير القرآن جرياً مع الحضارة وتطوُّر الزمن وربط النصوص القرآنية بالعلوم البحتة والمظاهر الكونية أمثال الجواهر في تفسير القرآن للطنطاوي الجوهري وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا.

٨ـ تفسير القرآن بالقرآن، وهذا ما جنح إليه العلاّمة محمد حسين الطباطبائي.

٩ـ تفسير القرآن بمنظار فلسفي أو كلامي؛ كتفسير ملا صدرا الشيرازي ت١٠٣١هـ.

الفرق بين التفسير والتأويل

لقد عرفت فيما سبق أن التفسير: هو بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها ومداليلها.

والتأويل: إرجاع الكلام وصرفه عن معناه الظاهري إلى معنى أخفى منه.

هذان التعريفان سبق وأن أشرنا إليهما في الصفحات السابقة وإلى ما يتعلّق بهما من حيث المعنى اللغوي والاصطلاحي، أما هنا فالحديث عن الفوارق التي أشار إليها علماء التفسير نذكر أهمها:

١ـ أن السلف ما كان يعلم فرقاً بين التفسير والتأويل، بل إنّما عدّها في معنى واحد قال أبو عبيدة وابن الأعرابي وجماعة آخرون: التفسير والتأويل بمعنى واحد.

أقول هذا الرأي الذي تبنّاه أبو عبيدة إنما تبنّاه لأن السلف كان أقرب منّا إلى صدر التشريع والمسلمون قريبو عهد بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والصحابة والتابعين لذا لم يجرؤوا أن يعطوا القرآن الكريم تفسيراً غير ما وصل إليهم من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا ما نسمّيه (التفسير بالمأثور).

٢ـ التفسير غالباً يستعمل في مفردات الألفاظ أما التأويل فغالباً يستعمل في التركيب والجمل.

٣ـ التفسير هو بيان المعاني من القرائن اللفظية لسياق الآيات. أما التأويل هو بيان المعاني بطريقة الإشارة(٤).

٤ـ قال جماعة: التفسير ما يتعلق بالرواية والتأويل ما يتعلق بالدراية(٥).

٥ـ التفسير هو الكلام في أسباب النزول وشأنه والقصة التي نزلت فيها الآية. أما التأويل هو صرف الآية إلى معنى محتمل يوافق ما قبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب والسنّة وهو منهج الاستنباط، وذهب إلى هذا البغوي(٦).

٦ـ التفسير أعم من التأويل والأول يستعمل في بيان الألفاظ والثاني يستعمل في كشف المراد وإيضاح المعنى وتأويله، كتأويل الرؤيا(٧).

٧ـ والتأويل يستعمل مرّة عاماً ومرّة خاصاً، كما لو استعمل الكفر بمعناه المطلق الجحود، وبمعناه الأخص جحود الباري.

٨ـ التفسير بيان وضع اللفظ إمّا حقيقة أو مجازاً كتفسير الوسواس بالشيطان والسيّارة بالقافلة.

أما التأويل: هو تفسير باطن اللفظ، مأخوذ من الأوّل، وهو الرجوع لعاقبة الأمر فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد والتفسير إخبار عن دليل المراد، لأن اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل، هذا ما ذهب إليه الثعالبي(٨).

٩ـ بين التفسير والتأويل تباين؛ التفسير يراد به القطع أن مراد الله سبحانه من اللفظ كذا، فإن قام الدليل على القطع به فصحيح، وإن لم يقم دليل عليه فهو التفسير بالرأي المنهي عنه. أما التأويل هو ترجيح أحد المحتملات بدون قطع على أن مراد الباري هذا الاحتمال بعينه.

١٠ـ التفسير يستعمل لبيان ما في الكتب الإلهية وغيرها بينما التأويل يستعمل أكثر في الكتب الإلهية.

١١ـ التفسير يختص بالآيات المحكمة أما التأويل فيختصّ بالآيات المتشابهة وهذا لا يمكن الأخذ به لأن التأويل يشمل كل القرآن فيدخل فيه المتشابه والمحكم.

١٢ـ التفسير قد يراد به المعنى الظاهر للآية، أما التأويل قد يطلق ويراد به المعنى المخالف لظاهر اللفظ غير أن التأويل هو استعمال مولّد حدث بعد نزول القرآن وعلى وجه الدقة حدث في عصر التدوين(٩).

١ـ الإتقان السيوطي: ٣١٨/٢.
٢ـ الإتقان: ٣١٩/٢.
٣ـ مباحث في علوم القرآن صبحي الصالح، ٢٩٦.
٤ـ تفسير الآلوسي ٥/١.
٥ـ الإتقان للسيوطي ١٧٣/٢.
٦ـ تفسير البغوي المقدمة ١٨/١.
٧ـ مقدمة التفسير للراغب الأصفهاني، ٤٠٢.
٨ـ الإتقان للسيوطي ١٧٣/٢.
٩ـ الميسر في علوم القرآن: د.عبد الرسول الغفار، ص ٤٠ـ ٤٦، ح٢.

الشجرة المباركة

عن هند بنت الجون قالت:

نزل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بخيمة خالتي ومعه أصحاب له، فكان من أمره في الشاة ما قد عرفه الناس، فكان في الخيمة هو وأصحابه حتّى أبرد، وكان اليوم قايظاً شديداً حرّه، فلمّا قام من رقدته دعا بماء فغسل يديه، فأنقاهما، ثمّ مضمض فاه ومجّه على عوسجة كانت إلى جنب خيمة خالتي ثلاث مرّات، واستنشق ثلاثاً، وغسل وجهه ثلاثاً، وذراعيه ثلاثاً، ثمّ مسح برأسه ما أقبل منه وأدبر مرّة واحدة، ثمّ غسل رجليه ظاهرهما وباطنهما[١]، والله ماعاينت أحداً فعل ذلك، ثمّ قال: إنّ لهذه العوسجة شأناً، ثمّ فعل من كان معه من أصحابه مثل ذلك، ثمّ قام فصلّى ركعتين، فعجبت أنا وفتيان الحيّ من ذلك، وما كان عهدنا بالصلاة، ولا رأينا مصلّياً قبله، فلمّا كان من الغد أصبحنا وقد علت العوسجة حتّى صارت كأعظم دوحة عالية وأبهى، وقد خضد الله شوكتها، ووشجت عروقها، وكثرت أفنانها، واخضرّ ساقها، ثمّ أثمرت بعد ذلك، فأينعت بثمر كان كأعظم ما يكون من الكمأة في لون الورس المسحوق، ورائحة العنبر وطعم الشهد، والله ما أكل منها جائع إلاّ شبع، ولا ظمآن إلاّ روي، ولا سقيم إلاّ برئ، ولا ذو حاجة وفاقة إلاّ استغنى، ولا أكل ورقها بعير ولا ناقة ولا شاة إلاّ سمنت ودرّ لبنها. فرأينا النماء والبركة في أموالنا منذ يوم نزل (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأخصبت بلادنا، وأمرعت، فكنّا نسمّي تلك الشجرة المباركة.

وكان ينتابنا من حولنا من أهل البوادي يستظلّون بها، ويتزوّدون من ورقها في الأسفار، ويحملون معهم للأرض القفار، فيقوم لهم مقام الطعام والشراب، فلم نزل كذلك وعلى ذلك حتّى أصبحنا ذات يوم وقد تساقط ثمارها، واصفرّ ورقها، فأحزننا ذلك، وفزعنا من ذلك، فما كان إلاّ قليل حتّى جاء نعي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فإذا هو قد قبض ذلك اليوم، فكانت بعد ذلك تثمر ثمراً دون ذلك في العظم والطعم والرائحة، فأقامت على ذلك نحو ثلاثين سنة، فلمّا كان ذات يوم أصبحنا وإذا بها قد شاكت من أوّلها إلى آخرها، وذهبت نضارة عيدانها، وتساقطت جميع ثمرها، فما كان إلاّ يسير حتّى وافى خبر مقتل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، فما أثمرت بعد ذلك لا قليلاً ولا كثيراً، وانقطع ثمرها، ولم نزل نحن ومن حولنا نأخذ من ورقها، ونداوي به مرضانا، ونستشفي به من أسقامنا، فأقامت على ذلك برهة طويلة، ثمّ أصبحنا ذات يوم فإذا بها قد انبعث من ساقها دم عبيط، وإذا بأوراقها ذابلة تقطر دماً كماء اللحم، فقلنا: قد حدثت حادثة عظيمة، فبتنا ليلتنا فزعين مهمومين نتوقّع الحادثة، فلمّا أظلم الليل علينا سمعنا بكاءً وعويلاً من تحت الأرض، وجلبة شديدة ورجّة، وسمعنا صوت نائح يقول:

أيا ابن النبي ويا ابن الوصيّ
بقيّة سادتنا الأكرمينا

وكثر الرنين والأصوات، فلم نفهم كثيراً ممّا كانوا يقولون، فأتانا بعد ذلك خبر قتل الحسين (عليه السلام)، ويبست الشجرة، وجفّت، وكسرتها الرياح والأمطار، فذهبت ودرس أثرها.

قال عبد الله بن محمّد الأنصاري: فلقيت دعبل ابن عليّ الخزاعي في مدينة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وحدّثته بهذا الحديث فلم ينكره، وقال: حدّثني أبي عن جدّي عن أُمه سعدى بنت مالك الخزاعيّة أنّها أدركت تلك الشجرة، وأكلت من ثمرها على عهد عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، وأنها سمعت ليلة قتل الحسين (عليه السلام) نوح الجنّ، فحفظت من جنّي منهم هذين البيتين:

يابن الشهيد ويا شهيداً عمّه خير العمومة جعفر الطّيار
عجباً لمصقول أصابك حدّه في الوجه منك وقد علاك غبار

قال دعبل: قلت في قصيدة لي تشتمل على هذين البيتين:

زر خير قبر بالعراق يزار
واعص الحمار فمن نهاك حمار
لِمَ لا أزورك ياحسين لك الفدى
قومي ومن عطفت عليه نزار
ولك المودّة في قلوب ذوي النهى
وعلى عدوّك مقتة ودمار
يابن الشهيد وياشهيداً عمّه
خير العمومة جعفر الطيّار
عجباً لمصقول أصابك حدّه
في الوجه منك وقد علاه[٢] غبار[٣]

١ـ وهذا الوضوء حسب ما يعتقده ويرويه العامة، وأمّا الإماميّة فلهم رأي آخر مأخوذ من الكتاب ومتضافر الأخبار.

٢ـ في البيتين اللذين تقدّما: ((في الوجه منك وقد علاك غبار)).

٣ـ مقتل الحسين للخوارزمي، ج٢، ص٩٨؛ وانظر ربيع الأبرار، ص٤٤؛ والتحفة العليّة والآداب العلميّة، ص١٦. المعاجز والكرامات: الشيخ فاضل الصفار، ص١٠٣ـ١٠٥.

المبادئ التربوية في نهج البلاغة

بما أنّ كتاب نهج البلاغة، كما أوضحنا سالفاً، من أهمّ المصادر الّتي تعرض وجهة النظر الإسلاميَّة في غير جانب من جوانب الحياة؛ كان من الطّبيعي أن تأتي نصوصه المتعلّقة بالجانب التّربويّ منسجمة كلّ الانسجام مع ما جاء في القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة الشريفة.

ولقد وجدنا أنّ المبادئ الّتي استنتجناها من نصوص الكتاب منسجمة فعلاً مع الغاية الأساسيَّة للرّسالة الإسلاميَّة وهي: «تحقيق العبوديّة لله في حياة الإنسان الفرديَّة والاجتماعيَّة»

وبالفعل، أكّد الإمام عليّ (عليه السلام) على هذه الغاية أيّما تأكيد، حتّى لا تكاد تخلو خطبة، بما في ذلك الخطب السّياسيَّة والعسكريَّة، منها.

فضلاً عن إفراده خطباً مستقلّة تعالج موضوع قدرة الخالق وعظمته وحاجة العباد إليه وحقّه عليهم.

بل ولم يترك الإمام، في سبيل إثبات ذلك، أيّ وسيلة نقليَّة كانت أم عقليَّة حتى لو تطلّب منه ذلك إفراد خُطَب لوصف بعض مخلوقات الله بدقّة متناهية تظنّ معها أنّك أمام كتاب في العلوم الطّبيعيَّة.

أمّا المبادئ التّربويَّة الّتي استفدناها من هذا الكتاب فيمكن تبويبها على الشكل التّالي:

١ـ مبدأ التربية وفق الفطرة

إن كان روسو قد دعا إلى مراعاة الطّبيعة واحترام قانونها في العمل التّربويّ؛ فإنَّ عليّاً (عليه السلام) قد دعا إلى تربية متوافقة مع الفطرة. فالمبدأ الأساس الّذي يجب أن تراعيه أيّ تربية ناجحة، في نظره، هو مدى انسجامها مع الفطرة.

وبما أنّ فاطر الوجود هو الله، فليس أعلم منه بما يُصلح شأن الإنسان ويحقّق له تكامله وسعادته.

«اللّهم داعي المدحوَّات وداعم المسموكات، وجابل القلوب على فطرتها: شقيّها وسعيدها».

لذا كان أهمّ ما أوكل الله إلى الأنبياء تعريف النّاس بخصائص هذه الفطرة «فبعث الله فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسيَّ نعمته».

وذلك كي يراعوها في سكناتهم وحركاتهم ولا يخالفوها إلى ما سواها ممّا قد تستهويه نفوسهم أو ترشدهم إليه عقولهم القاصرة، المحدودة بحدود معارفهم وتجاربهم.

فالواقعيَّة على ما يبدو من كلام الإمام علي (عليه السلام) ليست في موافقة الواقع الاجتماعيّ المصطنع بقدر ما هي في موافقة الواقع الفطريّ السّليم. وإن كان قسم كبير من الواقع الفطريّ يمكن معرفته من خلال اكتشاف قوانين الطبيعة إلاّ أنّ قسماً آخر لا يمكن معرفته إلاّ من خلال ما يخبرنا به خالق الطبيعة. لذا حرص الإمام على تبيين ذلك لأصحابه كنصحه لأحد قوّاد جيشه: «ولا تسر أوّل اللّيل، فإنَّ الله جعله سكناً وقدّره مقاماً لا ظعناً، فأرح فيه بدنك وروّح ظهرك، فإذا وقفت حين ينبطح السّحر أو حين ينفجر الفجر فَسِرْ على بركة الله».

وهكذا تكون التّربية وفق الفطرة من وجهة نظر الإمام (عليه السلام) هي وحدها التّربية الّتي يمكن أن تحقّق السعادة للإنسان إن على الصّعيد الفردي أو على الصّعيد الاجتماعيّ.

٢ـ مبدأ الإيمان بالغيب

المبدأ الثّاني من مبادئ التّربية في فكر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) هو الإيمان المطلق بالغيب.

والغيب هو الله الواحد وما خلقه من عوالم، غير عالم الشّهادة، ممّا لا نستطيع إدراكه بحواسّنا.

ولكن الله، في عقيدة الإمام، هو الحقيقة الوحيدة الفاعلة في الوجود. وهو، وإن كان بالنسبة لنا غيباً، جزءٌ لا يتجزّأ من معاملات عالم الشهادة، كما يفهم من قوله (عليه السلام) في إحدى خطبه: «وأشهد أن لا إله إلاّ الله شهادة إيمان وإيقان وإخلاص وإذعان».

لذا فكل تربية لا تلحظ وجوده وقدرته جلّ وعلا، وما يترتب عليهما فهي تربية واهمة، غير

واقعيَّة، أدنى ما يترتَّب عليها أن تؤدّي بصاحبها إلى مجانية الحقيقة والواقع.

والنّهج مليء بالخطب وأبعاض الخطب الّتي تؤكّد هذا الاعتقاد وتحثّ النّاس على الأخذ به، ولو أردنا استعراض كلّ ما ورد فيه حول هذا الموضوع لطال بنا المقام. ولكنّنا سنكتفي بذكر بعض النّماذج الّتي نأمل أن تفيَ بالغرض.

ففي خ٨٦، يصف الإمام الله عزَّ وجلَّ بأنَّه عالم بالسّرائر وخبير بالضّمائر وأنّه محيط بكلّ شيء وله الغلبة والقدرة على كلِّ شيء. وبناءً على ذلك يدعو النّاس لعدم التّهاون في حفظ كتابه وتأدية حقوق «فإنَّ الله سبحانه لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سُدىً، ولم يَدَعْكم في جهالة ولا عمى ...».

وفي الخطبة ١٠٩ يُعبِّر الإمام عن مواقع الله في الوجود بتعبير أدقّ فيقول: «كلّ شيء خاشع له وكلّ شيء قائم به ... من تكلَّم سمع نطقه، ومن سكت علم سرّه، ومن عاش فعليه رزقه، ومن مات فإليه منقلبه». ولا يخفى كم تعني هذه الأوصاف من الدّلالة على حضور الله الفاعل في عالم الوجود. لذا يُلحّ على أصحابه في التوكُّل على الله وطلب الحاجات منه وأن لا يخدعهم عدم رؤيته من توهّم عدم قدرته فيقول: (عليه السلام): «واعلموا عباد الله أنَّه لم يخلقكم عبثاً. ولم يُرسلكم هملاً ... فاستفتحوه، واستنصحوه واطلبوا إليه واستمنحوه. فما قطعكم عنه حجاب، ولا أغلق عنكم دونه باب. وانّه لبكلّ مكان وفي كلِّ حين وأوان، ومع كلِّ إنس وجان».

ولم يكن اعتقاد الإمام هذا نظريّاً فقط، بل مارسه بالفعل في حياته. وليس أدلّ على ذلك من اعتماده على هذا المبدأ في نصيحته التّي أسداها للخليفة الثّاني بعدم الخروج بنفسه لقتال الفرس، إذ إنَّ الانتصار على الأعداء في نظره ليس منوطاً بكثرة المقاتلين بقدر ما هو منوط بصدق النيَّة والإخلاص إلى الله تعالى. يقول (عليه السلام): «إنَّ هذا الأمر (يعني الإسلام) لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا بقلَّة، وهو دين الله الَّذي أظهره، وجنده الَّذي أعدَّه وأمدَّه، حتى بلغ ما بلغ وطلع حيث طلع، ونحن على موعود من الله، والله منجزٌ وعده وناصر جنده ... فأمَّا ما ذكرت من مسيرة القوم إلى قتال المسلمين فإنَّ الله سبحانه هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره، وأمَّا ما ذكرت من عددهم فإنَّا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة وإنَّما كنَّا نقاتل بالنّصر والمعونة»[1].

١. المبادئ والأساليب التربوية في نهج البلاغة: أميرة برغل، ص١٩٦-٢٠٢.

حسن الظن بالله تعالى

يوضح القرآن الكريم بشكل قاطع خطورة سوء الظن بالله تعالى، ومآل ذلك إلى الهلاك والخسران.

وبعكس ذلك فإنّ حسن الظن بالله تعالى سبب للنجاة في الدنيا والآخرة.

روي عن الصادق (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أنّ الله إذا حاسب الخلق يبقى رجل قد فضلت سيئاته على حسناته، فتأخذه الملائكة إلى النّار وهو يلتفت، فيأمر الله بردّه، فيقول له: لم التفت؟ ـ وهو تعالى أعلم به ـ فيقول: يا ربّ ما كان هذا ظنّي بك، فيقول الله تعالى: يا ملائكتي! وعزّتي وجلالي وآلائي وعلوي وارتفاع مكاني، ما ظن بي عبدي هذا ساعة من خير قط، ولو ظنّ بي ساعة من خير ما ودعته بالنّار، أجيزوا له كذبه وأدخلوه الجنّة».

ثمّ أضاف رسول الله: ليس من عبد يظن بالله عزّ وجلّ خيراً إلاّ كان عند ظنّه به وذلك قوله عزّ وجلّ: «وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ»(١)(٢).

وفي حديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) يقول: «ينبغي للمؤمن أن يخاف الله تعالى خوفاً كأنّه يشرف على النّار، ويرجوه رجاءً من أهل الجنّة، إنّ الله تعالى يقول: (وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربّكم)... ثم قال: إنّ الله عند ظن عبده، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر»(٣).

حسن الظن بالله ثمن الجنّة

إنّ حسن الظن بالله ورحمته ووعده وكرمه ولطفه وعنايته من علائم الإيمان المهمّة ومن الأسباب المؤثرة في النجاة والسعادة!. حتى إنّه ورد في بعض أحاديث الرّسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: «ليس من عبد يظنّ بالله خيراً إلاّ كان عند ظنّه به»(٤).

كما ورد عن الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) أنّه قال: «أحسن بالله الظن فإنّ الله عزَّ وجلَّ يقول أنا عند ظنّ عبدي المؤمن بي إن خير فخير وإن شر فشر»(٥).

وورد حديث آخر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول فيه: «إنّ حسن الظنّ بالله عزَّ وجل ثمن الجنّة»!(٦).

فأي قيمة أيسر من هذا... وأيُّ متاعٍ أعظم قيمةً منه!؟

وورد في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو ينصح ولده: «بني خف الله أنّك لو أتيته بحسنات أهل الأرض لم يقبلها منك، وأرج الله رجاءً لو أتيته بسيئات أهل الأرض غفرها لك»(٧).

وحتى أنّ الرّسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يقول: «لن يدخل الجنّة أحداً عمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟

قال: «ولا أنا، إلاّ أن يتغمدني الله برحمته»(٨).

حسن الظن بالناس

الإسلام يريد أن يحكم المجتمع أمن مطلق، ولا يكتفي بأن يكفّ الناس عن ضرب بعضهم بعضاً فحسب، بل أسمى من ذلك بأن يكونوا آمنين من ألسنتهم، بل وأرقى من ذلك أن يكونوا آمنين من تفكيرهم وظنّهم أيضاً... وأن يُحسّ كلٌّ منهم أنّ الآخر لا يرشقه بنبال الاتهامات في منطقة أفكاره.

وهذا الأمن في أعلى مستوى ولا يمكن تحقّقه إلاّ في مجتمع رسالي مؤمن.

نموذج من الآيات والروايات

١ـ يقول النّبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذا الصدد: «إنّ الله حرّم من المسلم دمه وماله وعرضه وأن يُظنّ به السوء»[٩].

إنّ سوء الظن لا أنّه يؤثر على الطرف المقابل ويسقط حيثيّته فحسب، بل هو بلاء عظيم على صاحبه لأنّه يكون سبباً لإبعاده عن التعاون مع الناس ويخلق له عالماً من الوحشة والغربة والانزواء.

٢ـ ورد في حديث عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنّه قال: «من لم يحسن ظنّه استوحش من كلّ أحد»[١٠].

وبتعبير آخر، إنّ ما يفصل حياة الإنسان عن الحيوان ويمنحها الحركة والرونق والتكامل هو روح التعاون الجماعي، ولا يتحقّق هذا الأمر إلاّـ في صورة أن يكون الاعتماد على الناس (وحسن الظن بهم) حاكماً... في حين أنّ سوء الظن يهدم قواعد هذا الاعتماد، وتنقطع به روابط التعاون، وتضعف به الروح الاجتماعية.

وهكذا الحال في التجسس والغيبة أيضاً.

إنّ سيّئي النظرة والظن يخافون من كل شيءٍ ويستوحشون من كلّ أحد وتستولي على أنفسهم نظرة الخوف، فلا يستطيعون أن يقفوا على ولي ومؤنسٍ يطوي الهموم، ولا يجدون شريكاً للنشاطات الاجتماعية، ولا معيناً ونصيراً ليوم الشدّة!.

في غير الصورة التي يكون فيها العلم أساس الأحكام والمواقف، فإنّ حالة من الفوضى ستضرب العلاقات الاجتماعيّة، إذاً سوف لا يبقى أي شخص بمنأى عن الشك والريب، وبمأمن عن سوء الظن وستنعدم الثقة بين الأفراد، وتكون مكانة المجتمع في خطر.

٣ـ الآيات والأحاديث الإسلاميّة تنتقد بشدة الأفراد الذين يتبعون الظنّ ويجعلونه مقياساً لقناعتهم «وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا»[١١].

٤ـ أما الآية (٢٣) من سورة النجم، فإنّها عدَّت الظن في مرتبة اتباع هوى النفس «إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ».

سؤال وجواب

وهنا ينقدح هذا السؤال، وهو أنّ الظنّ السيئ أو الظن الحسن ليسا اختياريين (غالباً) وإنّما يكون كلٌّ منهما على أثر سلسلة من المقدّمات الخارجية عن اختيار الإنسان والتي تنعكس في ذهنه، فكيف يصحّ النهي عن ذلك؟

في مقام الجواب يمكن القول بأنّه:

١ـ المراد من هذا النهي هو النهي عن ترتيب الآثار، أي متى ما خطر الظنّ السيئ في الذهن عن المسلم فلا ينبغي الاعتناء به عمليّاً، ولا ينبغي تبديل أُسلوب التعامل معه ولا تغيير الروابط مع ذلك الطرف، فعلى هذا الأساس فإنّ الإثم هو إعطاء الأثر وتركه عليه.

ولذلك نقرأ في هذا الصدد حديثاً عن نبي الإسلام يقول فيه: «ثلاث في المؤمن لا يستحسنّ، وله منهنّ مخرج فمخرجه من سوء الظن ألاّ يحقّقه»[١٢]... إلى آخر الحديث الشريف.

٢ـ يستطيع الإنسان أن يبعد عن نفسه سوء الظن بالتفكير في المسائل المختلفة، بأن يفكر في طريق الحمل على الصحة، وأن يجسّد في ذهنه الاحتمالات الصحيحة الموجودة في ذلك العمل، وهكذا يتغلّب تدريجاً على سوء الظنّ!

فبناءً على هذا ليس سوء الظن شيئاً (اذا بال) بحيث يخرج عن اختيار الإنسان دائماً!

لذلك فقد ورد في الروايات أنّه: «ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يقلبك منه، ولا تظنّنّ بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجدُ لها في الخير محملاً»[١٣].

وعلى كلّ حال فإنّ هذا الأمر واحد من أكثر الأوامر والتعليمات جامعيّةً ودقّةً في مجال روابط الإنسان الاجتماعية الذي تضمن الأمن في المجتمع بشكل كامل.

١ـ المحجّة البيضاء: ٥/٢٦٩.

٢ـ أصول الكافي، ج٢، باب التهمة وسوء الظن، الحديث ٣، وقد ورد شبيه هذا المعنى في نهج البلاغة مع شيءٍ من التفاوت في «الكلمات القصار، رقم٣٦٠».

٣ـ تفسير مجمع البيان في تفسير الآيات: ١٩ ـ ٢٢، من سورة القصص.

٤ـ بحار الأنوار: ٧٠/٣٨٤.

٥ـ بحار الأنوار: ٧٠/٣٨٥.

٦ـ المصدر السابق.

٧ـ جامع الأخبار، ص١١٣.

٨ـ جامع الأخبار، ص١١٣.

٩ـ المحجّة البيضاء: ٥/٢٦٨.

١٠ـ غرر الحكم الصفحة، ٦٩٧.

١١ـ سورة يونس، الآية: ٣٦.

١٢ـ سورة فصّلت: الآية، ٢٣.

١٣ـ تفسير علي بن إبراهيم كما نقل عنه تفسير نور الثقلين: ٤/ ٥٤٤.

سلسلة مباحث التوحيد

مبحث الصفات الإلهيـــة

الحلقة الثانية

القسم الثاني: الصفات الثبوتية الجمالية

قـــد ذكرنا في العدد السابـــق أن العلماء رضوان الله تعالى عليهم أجمعين قســـموا الصفات الثبوتية الجمالية على فرعين وقد تقدم الكلام عن الفرع الأول الذي أسميناه بـالصفات الذاتية، وســـنتناول في هذا العدد الكلام عن الفرع الثاني المسمى بالصفات الفعلية.

الفرع الثاني

"الصفات الإلهية الفعلية"

وهي تلك الصفات المنتزعة من مقـــام الفعـل، بمعنى أن الـذات توصـف بهـذه الصفات عند ملاحـظتها مع الفعل، وذلك كالخلق والـرزق ونظائرهـا مـن الصفـات الفعلية، فحيننا نلاحظ مثلا أن الموجودات ما هي إلا أثرٌ من آثاره سبحـانه، وحـيننا ننسبها إليه نسميها مخلوقة له سبحانه وهو خالقها وأن العلاقة بينهما هي علاقة الخالق والمخلوق فننتزع من هذه العلاقـــة صفة الخالقية.

وهنالك فرق آخر ذكره العلماء ما بـــين صفات الذات وصفات الفعـل وهـي أن الصفة الذاتية (مثل القـدرة والعلم والحياة) يستحـيل اتصاف الذات الإلهية بنقيضها، فلا يقـال: (الله عالم بـكذا) و (ليس عالما بــكذا). أما الصفات الفعلية (مثـل الخلـق والـرزق) فيمكـن اتصـاف الذات الإلهية بها في حـال وبنقـيضها في حـال آخر، فيقـــال: (ان الله خلق كذا ولم يخلق كذا) ويقـال: (ان الله رزق فلانا ولدا ذكرا ولم يرزقه بنتا).

بعض الصفات الإلهية الفعلية

إن الصفات الفعلية بما أنها منتزعة من فعله سبحـانه، وإن أفعاله سبحانه في هذا الوجود لا حـصر لها ولا طاقة للعبـاد على إحـصائها، فتكون صفاته تعالى الفعلية لا حــــصر لها ولا يقـدر العبـاد على إحـصائها «قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا» ولكن الكلام وقـع في كتب العقـائد حـول ثلاث من الصفات الفعلية وهي كل من:

١: انه تعالى متكلم، ويتفرع منها صفة الصدق.

٢: انه تعالى حكيم.

٣: انه تعالى مريد.

ولعل التركيز على هـذه الصفات الثلاث أكثر من غيرها ناتج عن أن الجدل بـــين الفرق الإســـلامية كان كبـــيرا جدا في أثناء تناولهم بالبحث هذه الصفات الثلاث، فقد طال الكلام وكثر بـينهم حـول حقيقـة هذه الصفات بما لا يعنينا في هـذه العجالة، والتفصيل موكول إلى محله، وما ينبغي على المؤمن معرفته والاعتقاد به هو أن الله سبحانه قد وصف نفسه في الكتاب والســـنة بهذه الأوصاف الثلاثة وعليه فيجب على الإنسان ان يؤمن بها ويتيقن.

من الصفات الفعلية علم الله بمخلوقاته بعد الخلق (العلم الفعلي)

قد مرَّ في العدد السابق ذكر العلم الإلهي، وبيّنا أن علم الله سبحانه بذاته وبمخلوقاته قبل الخلق هما صفتان ذاتيتان، وبقي هنالك قسم ثالث من الأقسام أجّلنا الكلام عنه لأنه من صفات الفعل وقد حان أوان التعرف عليه وإثباته.

إن أسهل دليل يدل على علمه تعالى بجميع مخلوقاته بعد الخلق هو أننا قد عرفنا سابقا أن ذاته المقدسة في مرتبة الكمال المطلق الذي لا نقص فيه، وعدم علم الله سبحانه بمخلوقاته بعد الخلق يستلزم الجهل منه سبحانه بمخلوقاته، والجهل نقص، والنقص منفي عنه سبحانه بالأدلة المتقدمة، فيكون علم الله سبحانه بخلقه بعد خلقهم من الضروريات العقلية.

وأيضا قد ثبت فيما سبق أن صفاته سبحانه الكمالية مطلقة غير محدودة بحد ومعنى ذلك هو أن علمه سبحانه لابد أن يكون مطلقا غير محدود بحد ولا مشروط بشرط، ومقتضى إطلاق علمه تعالى وعدم محدوديته هو شموله لما قبل الخلق وما بعد الخلق.

هل علمه تعالى بأعمال الخلق يستلزم الجبر؟

قد استغلت بعض الفرق الإسلامية مسألة علم الله سبحانه بخلقه قبل خلقهم وبعده، ليجعلوا منها مبررا لارتكابهم الجرائم والذنوب العظام ويلقوا بعده أفعالهم وتصرفاتهم وخيانتهم وجميع تقصيراتهم الدنيوية والدينية على الذات الإلهية، فصوروا أن علم الله سبحانه هو السبب الذي يجعل من الإنسان عاصيا، ويصيره من أهل الشقاء والنار، فالله سبحانه يعلم بما سيجنيه المخلوق وما سيرتكبه من معاصٍ قبل خلقه وإيجاده، وهذا يعني أن هذا المخلوق سيولد وهو محكوم عليه مسبقا بأنه من أهل الشقاء أو النعيم، فيصبح العمل وأداء العبادات حينئذ بلا جدوى.

وهذه الشبهة ناتجة عن عدم فهم لمسألة العلم، فالعلم بالفعل من صفات الله سبحانه الثبوتية الكمالية، ولا ارتباط له بإيجاد نفس الفعل، وبمعنى آخر ان اختيار الإنسان وتحريك أعضائه وسعيه لإيجاد الفعل هو العلة والسبب الذي يظهر الفعل وليس علم الله سبحانه.

ونستطيع أن نقرب هذه الإجابة بمثال توضيحي، فلو أراد إنسان أن يرمي بنفسه من فوق مكان عال، وهنالك شخص آخر يتفرج عليه وكان يعلم أن هذا الذي يريد أن يرمي بنفسه لو سقط على الأرض لتكسرت عظامه ومات، أيوجد عاقل يستطيع اتهام ذلك المتفرج بأنه هو السبب في موت ذلك الذي رمى بنفسه من فوق المكان العالي، بحجة ان ذلك المتفرج كان يعلم بموت ذلك الذي سقط من فوق إلى الأرض، أم ان العقلاء قاطبة ستحكم بان اللوم موجه إلى نفس الذي رمى بنفسه من فوق إلى الأرض لأنه الوحيد الذي اختار ذلك، وعلم الآخرين بفعله أو بما سيؤول إليه عمله لا تأثير له على نفس فعله بحال من الأحوال.

وكذلك علم الطبيب بارتفاع درجة حرارة الإنسان وازدياد نبضه هو ليس سببا وعلة لوجود المرض، وعلم الإنسان بان الماء لو تعرض لدرجة حرارة مرتفعة فانه يغلي هو ليس سببا لغليانه، كذلك علمه سبحانه بأفعال عباده قبل خلقهم أو بعده ليس سببا وعلة لوجود أفعالهم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا «وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ».

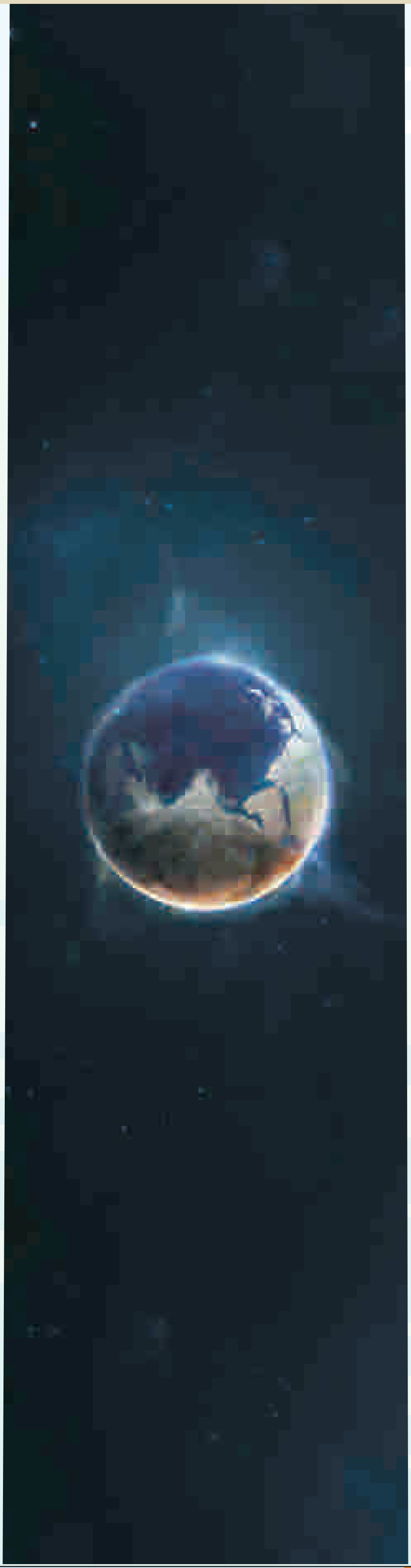

خُسرو الملكُ مع رجلٍ أتى إليه بسمكةٍ

حكي أنّ خسرو الملك أتى إليه رجل بسمكة كبيرة فأمر له بأربعة آلاف درهم.

فقالت شيرين (زوجة الملك): فكيف تصنع إذا احتقر من أعطيته شيئاً من حشمك، وقال: أعطاني ما أعطى الصيّاد أو أقلّ؟

فقال خسرو الملك: إنّ الرجوع عن الهبة قبيح خصوصاً من الملوك. فقالت شيرين: التدبير أن تدعوه وتقول له: هذه السمكة ذكر أم أنثى؟ فإن قال: ذكر، فتقول: إنّما أردتُ أنثى، وإن قال: أنثى، فتقول له: إنّما أردت ذكراً.

فاستدعاه فسأله عن ذلك، فقال: إيها الملك إنّها خنثى، لا ذكر ولا أنثى، فاستحسن جوابه وأمر له بأربعة آلاف درهم أخرى، فلما تسلّم الصياد ثمانية آلاف درهم من الخزانة ورجع سقط منها في الطريق درهم فاشتغل بأخذه، فقالت شيرين للملك: أنظر إلى خسّته وغلبة حرصه، فاستدعاه وسأله عن غرضه في اشتغاله بأخذ الدرهم الساقط.

فقال: أيّها الملك كان عليه اسمك وحكمك فخفت أن يطأه أحد برجله غافلاً عنه، فاستحسن أيضاً جوابه وأمر له بأربعة آلاف درهم أخرى، وذهب الصياد باثني عشر ألف درهم، وأمر الملك منادياً ينادي: ألا من دبّر أمره برأي النساء خسر درهماً أو درهمين[1].

حكاية بهلول مع أبي حنيفة

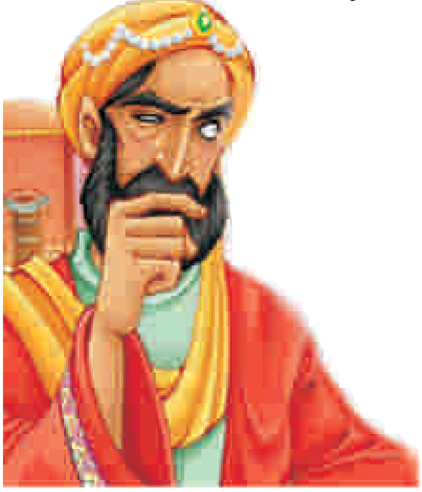

حكي أنّ بهلول قد اجتاز[2] يوماً على مسجد أبي حنيفة وكان يعظ الناس على المنبر، فوقف على باب المسجد فإذا أبو حنيفة يقول: إنّ جعفر ابن محمد يزعم أنّ للعباد أفعالاً تصدر منهم بالاختيار وهذا كذب، لأنه لا فعل في أفعال العباد إلّا من الله، وزعم أيضاً أنّ الشيطان يعذّب في النار، وهذا كذب أيضاً لأنه مخلوق من النار، الجنس لا يعذّب بجنسه، وزعم أيضاً أنّ الله موجود لا يجوز عليه الرؤية، وهذا أيضاً كذب، لأن كل موجود مرئي.

فلما سمع البهلول كلامه عمد إلى مدرة[3] كبيرة فرمى بها إلى رأس أبي حنيفة وشجّه[4] في رأسه وجرى الدم على وجهه، فركب البهلول قصبته ومضى مع الأطفال، فخرج أبو حنيفة وأتى شاكياً إلى الخليفة هارون الرشيد فلما رآه غضب غضباً شديداً وأمر بإحضار البهلول، فلما حضر سأله: لم فعلت بإمام المسلمين هذا الفعل؟

فقال: سله عن هذا، أما قال: إنّ جعفر بن محمد كذب في قوله: إن للعبد فعلاً، بل الأفعال كلها من الله، فإذا كان هذا مذهبه فالله سبحانه الذي شجّه بهذا المدر، فما يكون تقصيري أنا، وقال أيضاً: إن الجنس لا يتعذّب من جنسه، فهذا أبو حنيفة مخلوق من التراب وهذا المدر من التراب، فلم تعذّب أبو حنيفة به؟ وأيضاً قال: إن كلّ ما هو موجود مرئيّ، فسله عن هذا الألم الذي حصل له من هذه الشجة أهو مرئي أم لا؟

فأفحم[5] أبا حنيفة، ثم مضى البهلول وتركه[6].

١ـ الأنوار النعمانية: ج٣، ص١٠٨. عبر من التاريخ: الشيخ باقر المحسني، ج١، ص٣٨.

٢ـ اجتاز: أي عبر ومر(لسان العرب: ج٥، ص٣٢٧، مادة جوز).

٣ـ المدرة: الطين العلك الذي لا يخالطه رمل / القطعة من المدر. (المنجد في اللغة: ٧٥٢، مادة مدر).

٤ـ الشجة: الجراحة التي تكون في الرأس. (لسان العرب: ج١٤، ص٤٢٣، مادة شجأ).

٥ـ فأفحم: أي أسكته بالحجّة في خصومته. (لسان العرب: ج١٢، ص٤٤٩، مادة فحم).

٦ـ الأنوار النعمانية: ج٢، ص٢٦٥. عبر من التاريخ: الشيخ باقر المحسني، ج١، ص٦٤ـ ٦٥.

المعنى اللغوي لـ«مصطلح»

نفهم من حديث معاجم اللغة عن الجذر «ص ل ح» الذي ترجع إليه لفظة «مصطلح» صرفياً، ما يدل على صلاح الشيء وصلوحه، بمعنى أنه مناسب ونافع. ففي المعجم الوسيط: صَلَحَ الشيء: كان نافعاً أو مناسباً، يقال: هذا الشيء يَصْلحُ لك[١]، كما نفهم ما يدل على المسالمة والاتفاق، إذ يرد في لسان العرب أن الصُلْح: تصالُح القوم بينهم، والصُّلْحُ: السِّلْم، وقد اصطلحوا وصالحوا واصَّلَحُوا وتصالحوا واصَّالحوا، مشددة الصاد، قلبوا التاء صاداً أدغموها في الصاد بمعنى واحد[٢] أي اتفقوا وتوافقوا...

و«الاصطلاح» في المعجم الوسيط: اتفاق طائفة على شيء مخصوص، ولكل علمٍ اصطلاحاته[٣].

من الاختلاف إلى الاتفاق

و(الاتفاق) الذي نفهمه، لغويّاً، من مدلول «المصطلح» يُفضي بنا إلى التفكير في جوانب من حركة المصطلح وانفعاله وفعله:

فالاتفاق حول دلالة ما يقتضي أن يسبقه اختلاف، وهذا الاختلاف هو الذي يبرر وعينا بالاتفاق الحادث ويشعرنا به، فاتفاقنا على أمر يتضمن زوال التخالف والتعارض في سياق من الصيرورة والتحول. على أن هذا الاتفاق لا يغدو نهائيّاً وإلاّ توقفت حركة الحدوث والتحول اللازمة للوعي بالمصطلحات في حركة العلوم والمعارف والمناشط الإنسانية، ومن ثمّ لا نجد مصطلحاً إنسانيا كاملاً، ذلك ـ كما يقول عبد الله الغذامي ـ أن كل مصطلح هو بالضرورة مشروع مفتوح، يتغير مع كل تحول يمر عليه من فرد إلى فرد ومن زمن إلى زمن، ومن لغة إلى لغة[٤]. والتغير هنا يعني تغيراً معرفياً واجتماعياً ونفسياً وقيميّاً يقتضي الاصطلاح من جديد على مدلوله الحادث؛ لأن الناس جميعاً يتساوون في فهم معاني الأشياء لكنهم لا يتساوون في فهم معاني ما لها من أسماء[٥] أي أن المنظومة الاصطلاحية ذات ترابط وتعالق في الدلالة على حقلها المعرفي أو على مؤلفها أو عصرها أو مكانها، وهو التعالق الذي يجعل تحليلها منفذاً للكشف عن المفاهيم والرؤى والطروحات المختلفة، وقَدْرها، وتميزها. ولهذا لا تغدو المصطلحات سبيلاً ميسوراً لكل أحد في فهم مقتضياتها الدلالية، كما أن هذه المقتضيات الدلالية في انتسابها إلى سياق مخصوص قد أفضت من الوجهة المعجمية إلى البصر بمرجعيات سياقها ذاك. فهي، لدى مجدي وهبة وكامل المهندس: مجموع الكلمات والعبارات الاصطلاحية المتصلة بفرع من الفروع المعرفية أو بفنٍّ ما، أو الكلمات والعبارات الخاصة بعالم معيَّن في بسطه وعَرْضه لنظرية من النظريات الفنية أو الأدبية أو العلمية، كأن تقول مصطلحات الغزالي في التصوُّف كالمُرِيد والقُطْب والإشراق[٦] كما أنها «ألفاظ خاصة» عند جبور عبد النور ـ لكل علم من العلوم أو فن من الفنون، أو حرفة من الحرف... تدل على أمور معينة، يطلق على مجموعها اسم: مصطلح، مثل: مصطلح التاريخ، مصطلح الأدب، مصطلح الفلسفة...إلخ[٧] فالاتفاق على مدلول المصطلح يحمل في ذات الآن اختلافاً على المستوى الأفقي، هو اختلاف مصطلحات الحقل المعرفي عن مصطلحات غيره من الحقول المعرفية، واختلاف مصطلحات هذا الاتجاه عن اتجاه آخر، أو هذا العالم عن آخرين في ذات الحقل المعرفي، كما يأتي الاختلاف على المستوى الرأسي وفي ذات الحقل المعرفي بين القديم والحديث فَتُسَك مصطلحات جديدة أو تُخَصص القديمة بالقصد إلى مدلول مغاير أو بنسبة المدلول إلى اسم مغاير.... بما يجلي عن أصالة الأطروحات الفكرية وتميزها[٨].

---

١ ـ المعجم الوسيط: مادة (ص ل ح).
٢ ـ لسان العرب: مادة (ص ل ح).
٣ ـ المعجم الوسيط: المادة نفسها.
٤ ـ ثقافة الأسئلة: ص٢٠٠.
٥ ـ د. لطفي عبد البديع: فلسفة المجاز بين البلاغة العربيَّة والفكر الحديث، ص١٣٠.
٦ ـ معجم المصطلحات العربيَّة في اللغة والأدب، ص٣٦٨.
٧ ـ من: الموضع نفسه.
٨ ـ القارئُ القياسي: د. صالح زيّاد، ص٩٣ ـ ٩٦ح١.

اسمها الطاهر

وهي السيدة المعظمة نرجس بنت قيصر ملك الروم، وأمها من ولد الحواريين، وتنسب إلى وصي المسيح شمعون، وهذا الاسم (نرجس) هو المشهور شهرة واسعة في كتب التاريخ والحديث، وقد ذكر لها عليها السلام أسماء أخرى مثل سوسن وصيقل وحديثة ومليكة وحكيمة وريحانة، والظاهر أن هذه الأسماء كانت لها بمنزلة الأوصاف أو الأسماء الثانوية بسبب أن هذه المرأة العظيمة كانت محل الألطاف والعنايات الإلهية التي صيرتها وعاء للإمام الثاني عشر المهدي عليه السلام، وبما أن بيت الإمام الحسن العسكري كان مراقبا على الدوام من قبل السلطة التي كانت تتوقع ولادة الإمام المهدي في كل يوم من تلك الأيام، وحفاظا عليها وعلى مولودها ربما كان الإمام العسكري عليه السلام يضطر إلى تغيير اسمها كل فترة من الزمن، ليخفف ضغط السؤال والاستفسار حولها، ولتظن عيون السلطة أن هذه الأسماء هي لنساء متعددات، فيخف الطلب عليها ومراقبتها وترصد حركاتها.

وربما جاءت هذه التسميات نتيجة مناسبات وحكم تتناسب مع تلكم الأسماء فلا مانع في تلك الفترة الزمنية ان تسمى المرأة بأسماء متعددة لمناسبات مختلفة، كما الحال بالنسبة للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، فإنها صلوات الله وسلامه عليها وان سميت فاطمة إلا أنها كانت تسمى أيضا بالزهراء والمحدثة والمرضية وغير ذلك.

إخبار النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام بأمرها

قال قطب الدين الراوندي: (هي أم الإمام المهدي عليه السلام وقد أخبر عنها الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام بأنها خير الإماء في أحاديث كثيرة) ومن هذه الأحاديث ما عن الحارث الهمداني، قال: (قال أمير المؤمنين عليه السلام: بأبي ابن خير الإماء ـ يعني المهدي عليه السلام ـ يسومهم خسفا، ويسقيهم بكأس مصبرة، ولا يعطيهم إلا السيف) (كتاب الغيبة للنعماني ص ٢٣٤).

وعن الحرث بن شرب كل حدثنا انهم كانوا عند علي بن أبي طالب عليه السلام فكان إذا أقبل ابنه الحسن عليه السلام يقول: مرحبا يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإذا أقبل الحسين يقول: بابي أنت وأمي يا أبا ابن خير الإماء فقيل له: يا أمير المؤمنين ما بالك تقول هذا للحسن وتقول هذا للحسين؟ ومن ابن خير الإماء؟ فقال: ذلك الفقيد الطريد الشريد: محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين عليهم السلام هذا ووضع يده على رأس الحسين عليه السلام) (مقتضب الأثر لأحمد ابن عياش الجوهري ص ٣١).

كانت جارية للإمام الهادي أودعها عند أخته حكيمة لتفقهها

السيدة نرجس عليها السلام وصلت إلى الإمام العسكري عليه السلام عن طريق شرائها بواسطة بشر بن سليمان النخاس وبأمر من الإمام الهادي عليه السلام، وقصة شرائها طويلة ليس هنا محل تفصيلها، وحينما وصلت إليه دفعها إلى أخته السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام قائلا لها:

(يا بنت رسول الله خذيها إلى منزلك وعلميها الفرائض والسنن فإنها زوجة أبي محمد وأم القائم).

وعن زواجها بالإمام الحسن العسكري عليه السلام تتحدث السيدة حكيمة قائلة: (كانت لي جارية يقال لها نرجس: فزارني ابن أخي عليه السلام وأقبل يحد النظر إليها، فقلت له: يا سيدي لعلك هويتها فأرسلها إليك؟ فقال: لا يا عمة لكني أتعجب منها فقلت: وما أعجبك؟ فقال عليه السلام: سيخرج منها ولد كريم على الله عز وجل الذي يملأ الله به الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما فقلت: فأرسلها إليك يا سيدي؟.

فقال: استأذني في ذلك أبي، قالت: فلبست ثيابي وأتيت منزل أبي الحسن فسلمت وجلست فبدأني عليه السلام وقال: يا حكيمة ابعثي بنرجس إلى ابني أبي محمد قالت: فقلت: يا سيدي على هذا قصدتك أن أستأذنك في ذلك، فقال: يا مباركة إن الله تبارك وتعالى أحب أن يشركك في الأجر ويجعل لك في الخير نصيبا قالت حكيمة: فلم ألبث أن رجعت إلى منزلي وزينتها ووهبتها لأبي محمد وجمعت بينه وبينها في منزلي فأقام عندي أياما ثم مضى إلى والده ووجهت بها معه).

فضلها وعظيم منزلتها

ان لأم الإمام المهدي عليه وعليها السلام كرامات كثيرة وفضائل شتى، حيث كانت من أفضل نساء زمانها عقلا ودينا وورعا وتقوى، وللإحاطة في عظمة هذه المخدرة وكنهها الجليل ينبغي الرجوع إلى بعض الفقرات الواردة في زيارتها لكي تتجلى صفاتها الكريمة العالية التي أهلتها لتكون مأوى للإمام المهدي عليه السلام، وقد روى هذه الزيارة محمد بن المشهدي في كتابه المزار حيث قال:

السلام على والدة الإمام والمودعة أسرار الملك العلام، والحاملة لأشرف الأنام، السلام عليك أيتها الصديقة المرضية، السلام عليك يا شبيهة أم موسى وابنة حواري عيسى، السلام عليك أيتها التقية النقية، السلام عليك أيتها الرضية المرضية. السلام عليك أيتها المنعوتة في الإنجيل، المخطوبة من روح الله الأمين، ومن رغب في وصلتها محمد سيد المرسلين، و المستودعة أسرار رب العالمين...أشهد أنك أحسنت الكفالة وأديت الأمانة، واجتهدت في مرضاة الله، وصبرت في ذات الله، وحفظت سر الله، وحملت ولي الله، وبالغت في حفظ حجة الله، ورغبت في وصلة أبناء رسول الله، عارفة بحقهم، مؤمنة بصدقهم، معترفة بمنزلتهم، مستبصرة بأمرهم...راضية مرضية، تقية نقية زكية، فرضي الله عنك وأرضاك، وجعل الجنة منزلك ومأواك، فلقد أولاك من الخيرات ما أولاك، وأعطاك من الشرف ما به أغناك).

سنة وفاتها عليها السلام ومدفنها

اختلف في زمن وفاتها عليها السلام فالبعض يرى انها توفيت في حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وقد أخرج الشيخ الصدوق عليه الرحمة والرضوان (ان أبا محمد عليه السلام حدثها بما يجري على عياله، فسألته أن يدعو الله عز وجل لها أن يجعل منيتها قبله، فماتت في حياة أبي محمد عليه السلام وعلى قبرها لوح مكتوب عليه هذا قبر أم محمد).

والبعض الآخر يرى بأن زمن وفاتها كان في نفس سنة استشهاد الإمام الحسن العسكري بعده، ودفنت خلف قبر الإمامين الهادي والعسكري (عليهما السلام) وقبرها في زماننا داخل في الشباك الموضوع على قبر العسكريين في سامراء.

الحوار وتوليد الأفكار 2

المنهج التربوي الحوار على لتشجيع الأطفال

يرتكز هذا المنهج التعليمي على مفهومين رئيسين بإمكان الأم تطبيقهما وفق خطوتين متتاليتين للتواصل مع طفلها على النحو التالي:

الخطوة الأولى: راقبي، انتظري، أنصتي إلى الطفل.

الخطوة الثانية: اسمحي لطفلك بقيادة الحديث، تكيفي مع سلوكه لتشاركيه هذه اللحظة، أضيفي إلى لغته وتجربته خلال هذه اللحظات.

والخطوة الأولى تتطلب وقتاً كافياً ومهارة حقيقية لفهم كلام الطفل ورسائله ليتم فكُّ رموز هذه الرسائل، لأنَّ لكلِّ طفل أسلوبه الخاص المكوّن من حركات الجسم والأصوات. ولكي تتعرفي على طفلك بصورة حقيقية يجب أن تعملي على ملاحظته ومتابعته، ثم إعطائه الفرصة الكافية للتواصل بطريقته الخاصة، مع الاستماع إليه جيداً، وعندئذ سيدرك مدى اهتمامك وحرصك على الاستماع إليه، وأنّ محاولاته للتواصل تلقى الاهتمام والترحيب منك. وفي هذه الخطوة يمتزج الحنان بالتعليم معاً.

أمّا الخطوة الثالثة: وهي السماح للطفل بأن يقود الحديث.

فعليك أن تعرفي أولاً ـ إلى أيّ فئة من الأمهات تنتمين؟ هل أنت من:

أ ـ الأمهات المبالغات في المساعدة: فهن من فرط حبهن لأطفالهن لا يعطين الفرصة لهم بأن يقوموا بعمل شيء أو أن يعبّروا عن رغباتهم بطريقتهم الخاصة.

ب ـ الأمهات المستعجلات: وهن اللاتي يعطين الأولوية في التعبير بدلاً من الاستماع للطفل.

ج ـ الأمهات الملقنات: وهن اللاتي يتحدثن معظم الأوقات ناسيات أنّ أفضل طريقة لتعلّم الطفل هي أن يشارك الطفل بنفسه في الحديث، بدلاً من مجرد المشاهدة أو اتباع التعليمات.

د ـ الأمهات المستجيبات: وهن اللاتي يشجعن الطفل على التحدث بتقديم استجابات مناسبة لمبادرات الطفل حافزا له على التقدم في الحديث والتواصل.

فإذا كنتِ من النوع الملقن أو المستعجل أو المساعد، فعليك أن تتحولي إلى الفئة المستجيبة المشجّعة، ولكي تكوني كذلك إليك بعض الإرشادات:

١ . كوني وجهاً لوجه مع طفلكِ، شاركيه في تركيز النظر على الأشياء التي يركّز عليها نظره.

٢ . انتظري طفلك وامنحيه مهلة ليعبّر عن نفسه بطريقته الخاصة، بدلاً من توقّع احتياجاته، أو مقاطعته عند قيامه بأية محاولة للتواصل.

٣ . حاولي تقليد أفعال طفلك وتفسيرها، والأصوات التي يصدرها بدلاً من محاولة دفعه للتكلّم.

٤ . حاولي مجاراة الحالة العاطفية، ومستوى الجهد الذي يبذله طفلك، بدلاً من مجرد فرض طريقتك الخاصة في كيفية عمل الأشياء، أو متى يجب إنجازها وإذا ما استجبت لاهتماماته واحتياجاته وتعاطفت معه وجدانياً فسوف يكون الحديث تعبيراً عن تواصله معك.

٥ . لمساعدة طفلك على المبادرة أكثر حاولي:

- تقديم المثيرات المحببة التي تساعده على التواصل.
- استخدام اللعب في إثناء الحديث وسرد قصة يحبها وتشجيعه لإكمالها عبر تخيله الخاص.

٦ . لمساعدة طفلك على تقليد الأفعال، والأصوات، والكلمات التي أصدرها حاولي أن:

- تطلبي منه تقليد الكلمات والعبارات التي تقولينها وترديدها
- تطلبي منه تقليد الأفعال التي تقومين بها.

٧ . لمساعدة طفلك على أن يشارك بشكل أكبر في الأنشطة يمكنك أن:

- تشجعيه على القيام بأدوار بسيطة يستطيع أن يحقق نجاحاً فيها.
- تمسحي على رأسه وتقبّليه عند استجابته في المشاركة.

أهمية الحوار مع الطفل

إنَّ الحوار بين الطفل ووالديه يعود بمجموعة من الفوائد نذكر منها:

١ـ التعارف: إذا كان هناك حوار كان هناك تعارف، أي أن يكون الشخص أقرب إلى بقية أفراد الأسرة.

٢ـ التآلف: إذا كان هناك حوار سيزيد التآلف بين أفراد الأسرة ويكون هناك حب واقتراب من بعض.

٣ـ التكاشف: من خلال مفتاح الحوار سيتم التكاشف والوضوح للجميع وبهذا تنكشف المشاكل.

٤ـ التعاطف: من خلال الحوار تزداد المحبة بين أفراد الأسرة.

٥ـ التلاطف: بمعنى أننا لا نريد من الحوار فقط الجو الرسمي، بل المعنى الحقيقي للحوار يكون بالكلمة الحلوة والجو اللطيف.

وبذلك يزداد التعارف والتآلف والتكاشف والتعاطف والتلاطف بين الطفل ووالديه مما يساعد على تنشئة الأطفال تنشئة اجتماعية سوية منذ البداية، ولكن أحياناً قد تكون نتائج الحوار سيئة بين الآباء والأبناء؛ إذ ليس بالضرورة أن يكون الحوار فعالاً وإيجابياً دائماً، فصراع الوالدين يتأثر به الأبناء، وأحياناً يعتمد بعض الأبناء على إثارة الوالدين إلى قضية ما، وبهذا يلفت أنظارهم إلى حوارهم الخاطئ.

ومن الملاحظ أنَّ الأسرة تهمل الحوار مع الطفل، وإذا اهتمت بالحوار فإنها تحاور أطفالها حول موضوعات محدودة جداً فتحاوره في طفولته من أجل أن ينفذ الأوامر ويقوم بالطاعة لأوامرها، وتحاوره عندما يكبر ويصبح في المدرسة حول قضية قد تكون مملة أحياناً بالنسبة لبعض الأطفال حول الدراسة مما يؤدّي أحياناً إلى هروب الأبناء من الأهل.

ولذلك لا بدَّ من أن تتعدد موضوعات الحوار وتتدرج بالسؤال عن الطفل أو الولد، ومن ثم التدرج إلى المواضيع الأخرى، وبذلك يكون الحوار أكثر إيجابية لأنَّ الأطفال بحاجة لأن نشاركهم همومهم الصغيرة التي تشغل بالهم.

فالوصول إلى الحوار الفعال يتمُّ من خلال العبور على الجسر الذي يحبه الطفل، وبذلك يمكن الوصول إلى أهمَ مفاتيح الحوار، ومن ثم إلى قلوب الأطراف الأخرى.

وللحوار الإيجابي مجموعة فوائد عامة لكلِّ إنسان نذكر منها:

١ـ أنه يزيد من قبول الإنسان في المجتمع وتقديره.

٢ـ أنه يزيد من التقارب النفسي لأبناء المجتمع.

٣ـ أنه تزداد به الأفكار وتنمو ويتوسع الخيال.

٤ـ أنه يسهم في مساعدة الأفراد على اتخاذ القرارات الهامة.

٥ـ أنه يشبع حاجات الإنسان ويساعد على نمو المهارات المتنوعة وازدياد الثقافة.

٦ـ أنه يزيد من مستوى المفردات لدى الأطفال.

٧ـ أنه يعرِّف الأطفال بحقوقهم وواجباتهم[1].

١ـ كيف أُجيب عن أسئلة طفلي وأحاوره: أ ـ د. سلوى مرتضى: ص١٩ ـ ٢٣.

الثقوب السوداء

حتى وقت قريب كانت الدلائل على وجود الثقوب السوداء ضعيفة وغير مباشرة، أما الآن فقد وجد الفلكيون على الأرجح، برهانا مباشرا تختفي الطاقة في بعض مناطق الفضاء من دون أن تترك وراءها أي أثر.

يعتقد الفلكيون أن الثقوب السوداء موجودة في جميع أرجاء الكون، وتقع هذه الأجسام الخلابة في مراكز العديد من المجرات (بما فيها مجرتنا مجرة درب التبانة) حيث تتزاوج مع نجوم عادية أخرى لتشكل منظومات ثنائية، وقد تسير منفردة في الفضاء بين النجوم.

وتحتوي هذه الأجسام وهي الأكثر تراصا في الكون على المادة في أغرب حالاتها المعروفة علمياً- حيث تتجمع كتلة لا متناهية في الكبر في حجم لا متناه في الصغر- حجم يكاد يشكل نقطة في الناحية الرياضية؛ لذلك فإن هذه الأجسام تشكل تحديا قويا للراصدين، إذ إنها حقا سوداء فهي لا تصدر أية إشعاعات كهرومغناطيسية (كالضوء مثلا) على الأقل ليس على المستوى الذي يمكن استشعاره.

ولكي يستطيع الباحثون استنتاج وجود هذه الثقوب وجب عليهم الاعتماد على نوعين من الحجج غير المباشرة.

أولا: تتحرك النجوم من المناطق القريبة من مراكز المجرات بسرعة عالية لدرجة تجعلها تطير بعيدا في الفضاء لولا وجود كتلة مركزية هائلة- ما يعادل بليون كتلة شمسية تجذبها بفعل الثقالة نحو الداخل ولابد للجسم الذي يحتوي على هذه الكتلة الهائلة أن يكون ذا كثافة عالية حقا، ولا يعرف العلماء النظريون جسما بهذه الخاصية سوى الثقب الأسود.

ثانياً: تقوم العديد من مراكز المجرات والمنظومات النجمية الثنائية بإطلاق كميات من الإشعاعات والمادة بمعدلات هائلة؛ لذا لابد أن تحتوي هذه الأجسام على آلية فعالة وغير مألوفة لإنتاج الطاقة، والأداة الأكثر فاعلية في ذلك هي الثقب الأسود نفسه- من الناحية النظرية على الأقل.

هذه الأدلة جميعها تبرهن فقط على وجود جسم ما متراص ولكنها لا تؤكد وجود الثقوب السوداء اعتمادا على أي من خصائصها الفريدة- إذ إن إثبات وجود الثقب هنا لا يأتي إلا من غياب البديل، بل إن الغموض يكتنف التحقق في حالة المنظومات النجمية الثنائية، حيث يعلم الفلكيون بوجود جسم متراص له بعض خواص الثقب الأسود.

١- أساسيات العلوم الفيزيائية: د. أحمد فؤاد باشا- د. فوزي حامد عبد القادر- د. محمد نبيل يس بكرى- د. شريف أحمد خيري، ص ٩٧٣-٩٧٤.

أوصاف
الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف وعلائمه

لقد تعرّضت الأحاديث الشريفة لذكر علائم الإمام المهدي ﷺ وأوصافه، وكان هذا ضرورياً جداً، حتى يعرف الحق من الباطل، وليكون حاجزا قويا أمام من سوّلت له نفسه أن يدعي ما ليس له.

وفيما يلي نشير إلى بعض الأحاديث الواردة في أوصاف الإمام المهدي ﷺ وعلائمه:

١ ـ قال رسول الله ﷺ: المهدي من ولدي، إبن أربعين سنة، كأن وجهه كوكب دري، في خده الأيمن خال أسود، عليه عباءتان قطوانيتان، كأنه من رجال بني إسرائيل، يملك عشرين سنة، يستخرج الكنوز، ويفتح مدائن الشرك.

٢ ـ وقال ﷺ: يخرج المهدي وعلى رأسه غمامة، فيها مناد ينادي: هذا المهدي خليفة الله فاتّبعوه.

٣ ـ وقال ﷺ: المهدي منّي، أجلى الجبهة، أقنى الأنف.

٤ ـ وقال ﷺ: المهدي من ولدي، وجهه يتلألأ كالقمر الدري، اللون لون عربي، والجسم جسم إسرائيلي، يملأ الأرض عدلاً.. كما ملئت جورا.

٥ ـ وقال الإمام علي أمير المؤمنين ﷺ ـ في خطبة له ـ: ... المهدي من ذريتي، يظهر بين الركن والمقام، عليه قميص إبراهيم، وحلة إسماعيل، وفي رجله نعل شيث، والدليل عليه قول النبي ﷺ: عيسى بن مريم ينزل من السماء ويكون مع المهدي من ذريتي...

٦ ـ وقال ﷺ أيضا ـ في خطبة البيان ـ: ... هو صاحب الوجه الأقمر، والجبين الأزهر وصاحب العلامة والشامة، العالم غير معلم، المخبر بالكائنات قبل أن يعلم....

ألا وإن المهدي يطلب القصاص ممن لا يعرف حقنا، وهو الشاهد بالحق وخليفة الله على خلقه، اسمه كاسم جده رسول الله ﷺ ابن الحسن بن علي ﷺ، من ولد فاطمة، من ذرية الحسين ولدي... إلى آخر الخطبة.

٧ ـ وقال الإمام الحسين بن علي ﷺ: لو قام المهدي لأنكره الناس، لأنّه يرجع إليهم شاباً وهم يحسبونه شيخا كبيرا.

٨ ـ وعن الهروي قال: قلت للإمام الرضا ﷺ: ما هي علامات القائم منكم إذا خرج؟.

قال ﷺ: علاماته أن يكون شيخ السن، شاب المنظر، حتى أن الناظر إليه ليحسبه ابن أربعين سنة أو دونها، وإن من علاماته أن لا يهرم بمرور الأيام والليالي، حتى يأتي أجله[1].

---

(١) الإمام المهدي عليه السلام من المهد إلى الظهور للسيد محمد كاظم القزويني: ص٣٦٢ ـ ٣٦٧.

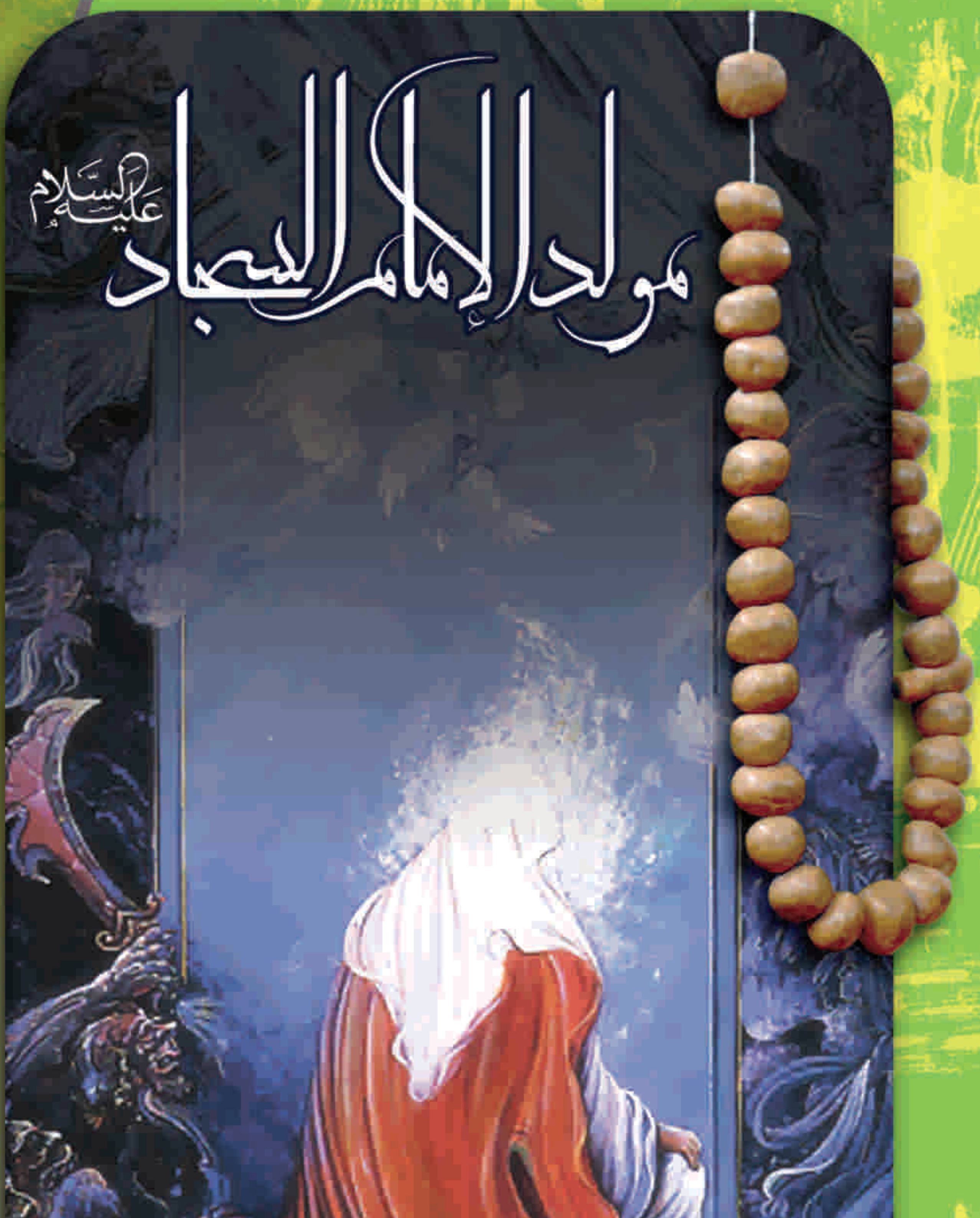
مولد الإمام السجاد
عليه السلام